

## من أخلاق الداعية

سلسلة نحو ترشيد الصحوة .

سلمان بن فهد العودة .

دار الوطن للنشر - الطبعة الأولى - ربيع الأول 1411هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الصحوة منا ، و نحن منها ، عزها عزنا ، و نصرها نصرنا ، و نحن أسعد الناس بها !

و ليس يجوز لقادر أن تكون مشاركته " الفرح " فحسب ، بل نريده " فرحاً " إيجابياً يتحول إلى كلمة بناءة ، أو نصيحة هادفة ، أو لفظة موفقة .

و ليس ترشيد الصحوة أمراً مما يطيقه الآحاد من الناس ، بل هو مسئولية الجميع .

فإلى المشاركة الإيجابية الجادة في هذه السلسلة المباركة قبل أن يفوت الركب ، و تطير الطيور بأرزاقها !

**المؤلف**

السعودية - القصيم - بريدة

ص ب 2782

**كان من صحيح دعائه صلى الله عليه و سلم :**

" اللهم اهدني لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، و اصرف عني سيئها ، لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، لبيك و سعديك ، و الخير كله في يدك ، و الشر ليس إليك ، أنا بك و إليك ، تباركت و تعاليت " مسلم 1/535 .

\*\*\*\*\*

" اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق و الأعمال و الأهواء " . الترمذي 5 / 536 .

\*\*\*\*\*

" اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي " . أحمد 1/ 403 ، 6 / 68 ، 155 .

\*\*\*\*\*

" اللهم إني أعوذ بك من العجز و الكسل ، و الجبن و البخل ، و الهرم و القسوة ، و الغفلة و العيلة ، و الذلة و المسكنة ، و أعوذ بك من الفقر و الكفر ، و الفسق و الشقاق و النفاق ، و السمعة و الرياء ، و أعوذ بك من الصمم و البكم ، و الجنون و الجذام ، و البرص و سيئ الأسقام " . المستدرک 1/ 530 ، 531 .

2\_ لأتمم مكارم الأخلاق :

تتبوا الأخلاق في الإسلام موقِعاً من أعظم المواقع ، حتى لقد صح عنه صلى الله عليه و سلم ، أنه قال : " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق " .

و في لفظ : " مكارم الأخلاق " <sup>1</sup> .

فكانه صلى الله عليه و سلم حصر المهمة التي بعث لها في هذا الأمر .. و لا غرابة !

\* فإن نحن فهمنا " الأخلاق " على أنها تعامل العبد مع الله و مع الناس ، فالأمر واضح ، و هذا هو الدين كله ، كيف تتعامل مع الخالق ؟ كيف تعبد و توحد و تتجنب ما يسخطه ؟ و كيف تتعامل مع المخلوق ؟ و يدخل في ذلك الملائكة و الأنبياء و الصالحون و الأقربون ممن لهم حقوق الحب و الود ، كما يدخل فيه الصنف الآخر من الشياطين و الكفار و الفساق و المنافقين ممن يبغضهم الإنسان في ذات الله كالكفار ، أو يبغضهم من جانب واحد كالفساق الذين يكون فيهم أصل الإيمان بالله و رسله .

1 - رواه أحمد ( 2 / 381 ) ، و مالك بلاغاً ( 2 / 904 ) ، و البزار كما في المجمع ( 9 / 15 ) ، و قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . و قال ابن عبد البر : هو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة و غيره .

• أما إن فهمنا " الأخلاق " بمعنى أخص ، و أنها التعامل مع الناس فحسب ،  
فالحديث إذن محمول على بيان عظم فضل الأخلاق ، و علو مكانتها في الدين ،  
فهو كحديث : " الحج عرفة " <sup>2</sup> ، و حديث : " الدين النصيحة " <sup>3</sup> .

إذ ليس المقصود حصر الحج في عرفة ، و لا حصر الدين كله في النصيحة  
إنما المقصود أن الوقوف بعرفة أعظم أركان الحج ، و أن للنصيحة مرتبة  
عالية في الدين .

فلا إشكال في الحديث على المعنيين ، و كلاهما له دلالة قوية على عظم شأن  
الخلق في الإسلام .

3\_ مسلم .. و داعية :

من هذا المنطلق وجب على المسلم التحلي و التجمل بالخلق الحسن ، سواء  
كان داعية أم غير داعية ، إذ الأخلاق من مقاصد البعثة المحمدية التي أكرم الله بها  
الإنسان في الأرض كلها، و خص المؤمنين بخصيصة منها ليست لسواهم ،  
حيث هداهم بها إلى الصراط المستقيم ، و زكى نفوسهم ، و علمهم ما لم  
يكونوا يعلمون : " هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ، و يزيهم ، و  
يعلمهم الكتاب و الحكمة ، و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين " . ( سورة الجمعة /  
الآية 2 ) .

و التزكية المذكورة في الآية الكريمة تشمل تزكية النفس و تربيتها على معالي  
الأخلاق ، و تنقيتها من رديتها .. ففي الآية هذه كما في الحديث السابق تبدو  
الأخلاق مقصداً من مقاصد البعثة المحمدية ، بل من أبرز مقاصدها .

و إذا كان التحلي بالخلق الفاضل واجباً على آحاد المسلمين ... فما بالك  
بالداعية الذي يحمل راية الدعوة و شعارها .. و ينادي بها بين الناس ؟

إن الأنظار إليه أسرع ، و الخطأ منه أوقع ، و النقد عليه أشد ، و دعوته يجب أن  
تكون بحاله قبل مقاله .

و لذلك فتخلقه بالخلق الكريم أوجب و ألزم ، قياماً بحق ما جعل الله على  
كاهله من الأعباء الجسام .. كما قال الشاعر :

**شكرا لفضلك إذ حملت كاهلنا \*\*\* مما وثقت بنا ما كان من نوب !**

و حماية للدعوة و أهلها من ألسنة المغرضين ، و أقلام الخصوم الشائنين ، و أوهام الغفل و  
المتعجلين !

4\_ و هذه منها :

<sup>2</sup> - رواه الترمذي 899 ، و أبو داود 1949 ، و النسائي 3044 ، و ابن ماجه 3015 ، و الدارمي و

غيره .. جميعهم عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي .

<sup>3</sup> - رواه مسلم 55 ، و أبو داود 4944 ، و النسائي 4197 - 4198 من حديث تميم الدارمي .

لو أردت أن أتحدث عن الأخلاق كلها لطال المقام و لم أصنع شيئاً ، و بين يدي مجموعة كبيرة من المصنفات في الأخلاق ، منها : " أخلاق النبي " لأبي الشيخ الأصبهاني ، " مكارم الأخلاق " للطبراني ، و للخرائطي ، " الأخلاق و السير " لابن حزم ، " دستور الأخلاق في القرآن " لمحمد عبد الله دراز .. الخ .

و هذه الرسالة - أخي الكريم - ليست بحثاً في الأخلاق و فلسفتها ، و إنما هي عرض لمجموعة من الفضائل الخلقية التي شعرت بأهميتها العظمى للداعية مع كثرة النصوص فيها ، و إنما أتحدث فيها عن جوانب مهمة ، و أترك غيرها مما هو متوفر في المصادر العلمية لمن أرادته .

### أولاً : الصدق :

" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين " ، ( سورة التوبة / الآية 119 ) .

يفهم كثيرون الصدق على أنه صدق اللسان في الأقوال فحسب ، و الحق أن الصدق منهج عام ، و سمة من سمات شخصية المسلم في ظاهره و باطنه ، و قوله و فعله ، و من ذلك :

#### أ - الصدق في حمل الدين :

بأن يكون تدين المرء تديناً صحيحاً مبنياً على الصدق مع الله عز و جل ، لا على النفاق و الكذب و المجاملة ، و لذلك يطلق الصدق في القرآن الكريم في مقابل النفاق : " ليجزي الله الصادقين بصدقهم ، و يعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم " ( سورة الأحزاب / الآية 24 ) .

فلا بد من الإسلام الظاهر مع الإيمان الباطن ، لا بد من حسن الاعتقاد بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيين .

فالهدي الظاهر لا بد أن يكون متوافقاً مع الهدي الباطن .

و هنا كمين من كمائن الشيطان يوحى للداعية بترك بعض الأعمال الصالحة الظاهرة بحجة أن باطنه ليس كذلك .. فلا تفعل لئلا ينخدع الناس بك !

و هذا خطأ كبير .

بل العمل الصالح الذي تراوله بجوارحك هو من أسباب صلاح قلبك و صدقه ، ما دمت لم تعمله رياء و لا سمعة و لا على سبيل خداع المؤمنين .

#### ب - الصدق في الأقوال :

و الصدق في القول تعبير عن شخصية واضحة ، و مروءة و شهامة و كرم ، و لا يلجأ للكذب إلا لثيم الطبع ، خبيث النفس ، ضعيف الشخصية ، و الفطرة السليمة تستعيب الكذب و تستقبحه ، و لذلك أجمعت الديانات السماوية على تحريمه و تجريمه .

فما بالك بالداعية .. أترأه يتصور صدور الكذب منه ؟!

**أعتقد - إن شاء الله - أن : لا .**

**و لكن :**

من الدعاة من يتوسع في " التورية " بأن يقول كلاما يفهمه الناس على خلاف ما يقصد ، و قد يكتشفون بعد أن الواقع على خلاف ما فهموم منه فيتهمونه بالكذب .. ثم إن التوسع في التورية قد يؤدي إلى التسامح في بعض " الكذبات " بحجة أنها للمصلحة !! فالحذر الحذر !

• أيتها الداعية : حين يلجؤك الموقف إلى الكذب فلا تقدم عليه ، و تذكر كلمة " أبي سفيان " أمام هرقل حين سأله عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فقال :

" و الله لولا أن يؤثروا عني كذباً لكذبت " ! <sup>4</sup>

لقد تجنب هذا الرجل - و كان جاهلياً - أن يكذب خشية أن ينقلوها عنه ، أو يعبروه بها يوماً من الدهر ، مع شدة حاجته إليها . و نحن نعلم أن أعراض الدعاة اليوم أصبحت هدفاً لسهام كثيرة ، و لذا يتعين على الداعية أن يغلق الباب الذي تأتيه منه الريح ، ليرج و يستريح !

حـ الصدق في الأعمال :

و هو يعني أن تكون أعمال الإنسان خالصة لوجه الله تعالى من الرياء و السمعة ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ، و لا يشرك بعبادة ربه أحداً " ( سورة الكهف / الآية 110 ) ، و قال : " ليلوكم أيكم أحسن عملاً " ( سورة الملك / الآية 2 ) .

قال الفضيل بن عياض : أيكم أحسن عملاً ، أي : أخلصه و أصوبه .

قيل : يا أبا علي ! ما أخلصه و أصوبه ؟

قال : إن العمل إذا كان خالصاً و لم يكن صواباً لم يقبل ، و إذا كان صواباً و لم يكن خالصاً لم يقبل ، لا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً !

و من الصدق في الأعمال : الوضوح و تجنب الغموض و التلبس .

روى أبو داود و النسائي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه جاء بعبد الله بن سعد بن أبي السرح و قد أهدر رسول الله صلى الله عليه و سلم دمه ، حتى

أوقفه على رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فقال : يا نبيّ الله ! بايع عبد الله .

فرفع رسول الله صلى الله عليه و سلم رأسه فنظر إليه مرتين أو ثلاثاً ، كل ذلك يأبى أن يبايعه ، ثم بايعه بعد الثلاث ، ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم على أصحابه فقال : " أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأي كفت يدي عن بيعته فيقتله ؟! " .

فقالوا : ما ندري يا رسول الله ما في نفسك ، ألا أومأت إلينا بعينك ؟ قال عليه الصلاة و السلام : " إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين !! " .<sup>5</sup>

إلى هذا الحد كان مدى " الصدق " في أعمال النبي صلى الله عليه و سلم ، لم يرض أن يقتل عدوه اللدود الذي كان أهدر دمه بطريقة غامضة عن طريق الإيماء بطرف العين !! و كان هذا دأبه و ديدنه طيلة حياته صلى الله عليه و سلم ، و لذلك لم يستطع المشركون في بداية الدعوة أن يتهموه بالكذب ، بل قالوا : شاعر .. ساحر .. مجنون .. و لم يصدقهم الناس ، و عندما فقدوا صوابهم و أعيتهم الحيل صرخوا : كذاب .. و لكن هيهات أن يصدقهم الناس !

و روى الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : لما قدم النبي صلى الله عليه و سلم ، المدينة انجفل الناس إليه ، و قيل : قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فلما استثبت وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، و كان أول شيء تكلم به أن قال : " أيها الناس ! أفشوا السلام ، و أطعموا الطعام ، و صلوا و الناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام " .<sup>6</sup>

لقد سرى صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم ، من القلب إلى اللسان .. إلى الجوارح و تجلى على محيا وجهه الكريم .. فكل من نظر إلى طلعته و إشراقها و صفائها قرأ فيها الصدق و عرف أن وجهه ليس بوجه كذاب !

نحن نحتاج إلى نمط من الدعاة أثروا الصدق في أقوالهم و أفعالهم حتى أصبح الصدق سجية تجري في عروقهم ، و تطل من طلعات وجوههم ، فإذا رآهم الناس قالوا : هذه ليست بوجوه كذابين !

كما نحن بحاجة إلى دعاة يتجملون بالخلق الكريم ، و يتأبون على الإثارة الاستفزاز فيحتفظون بهدوئهم و اعتدال منطقتهم في سائر الأحوال حتى إذا أبصر الناس منهم هذا هتفوا : هذه أخلاق أنبياء !

إن صدقنا في حمل دعوتنا هو الذي يجعل الناس يتقبلون ديننا ، و ليس يليق بنا أن نكون كالممثل على المسرح ، يظهر للناس بهيئة خلاف حقيقته ، فمثل هذا سرعان ما ينكشف أمره ، و يعرض الناس عنه .

5 - رواه أبو داود 2683 ، و النسائي 4067 ، و الحاكم 45 / 3 ، و له شاهد عند أبي داود 3094 و أحمد ( 151 / 3 ) من حديث أنس و لفظه " إنه ليس لنبي أن يومض " . و انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة 1723 .

6 - أخرجه أحمد 451 / 5 ، و الترمذي 2485 ، و ابن ماجه 3251 .

نقل عن بعض السلف أنه كان إذا وعظ أبكى الناس ، حتى تختلط الأصوات و يعلو النحيب ، و قد يتكلم في المجلس من هو أغزر منه علماً ، و أجود منه عبارة ، فلا تتحرك القلوب و لا يبكي أحد !

فسأله ابنه يوماً عن هذا ، فقال : يا بني لا تستوي النائحة الثكلى و النائحة المستأجرة !

إذن فالوسيلة الأولى لنجاح الداعية هي : صدقه في حمل دعوته ، و جديته في ذلك ، و أن يكون الصدق في الأقوال و الأعمال منهجه و شعاره . ليس المهم هو الكلمات المنمقة المعسولة - و إن كانت مطلوبة - ، إنما الأهم من ذلك الصدق ، و أن يكون منسجماً مع نفسه ، و أن يكون حديثه عن معاناة ، و قديماً قيل :

الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، و إذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان !!

### ثانياً / الصبر :

" الصبر قرين اليقين " و جعلنا منهم أمة يهدون بأمرنا لما صبروا و كانوا بآياتنا يوقنون " ( سورة السجدة / الآية 24 ) .

و لذلك قال سفيان : بالصبر و اليقين تنال الإمامة في الدين .

و الذي لا يصبر فإنه من السهل أن ينخلع عن دينه لأي شيء يعترض طريقه ، و من السهل أن يتخلى عن منهجه و حكمته لأي استفزاز ، و لذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم : " فاصبر إن وعد الله حق و لا يستخفك الذين لا يوقنون " ( سورة الروم / الآية 60 ) .

و قال : " و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً " ( سورة المزمل / الآية 10 ) .

كثيراً ما يقف الضالون في وجه الدعاة إلى الله عز و جل ، يقولون لهم : إن ما تدعون إليه ضرب من الخيال لا يمكن أن يتحقق في الواقع ، أنتم تدعون إلى أمور عفا عليها الزمن ، و نسيها الناس أو كادوا ، فينبغي أن ترضوا بما دون ذلك ، و أن تراجعوا آراءكم و اجتهاداتكم !!

و أمام ضغوط الواقع القائم ، و أمام العقبات الحقيقية و الوهمية في وجه تحقيق الإسلام ، و أمام طول الطريق .. قد يستجيب بعض الدعاة و يتأثر ، و يبدأ في إعادة النظر في فهمه للإسلام ، و فيما يقوله الخصوم !

و يا ليتة إذ يفعل ذلك يفعله بروح الباحث المتجرد الشجاع المتطلع إلى الحق أين كان .. إذن لهان الخطب !

لكنه يفعله بروح " المنهزم " الذي يحس بأنه خرج من المعركة أسيراً أو كسيراً .. فهو يبحث في " عروض " القوم عن " حل " يجنبه المعركة مع الباطل .. مع الواقع المنحرف ..

• وهذا مثل :

الربا الذي انتشر ، و ضرب أطنابه ، و مد رواقه ، و قامت عليه اقتصاديات العالم كله - بما فيه العالم الإسلامي - و كاد أن يدخل جيب كل أحد حتى تحققت فيه نبوءة النبي صلى الله عليه و سلم ، حين قال : " يأتي على الناس زمان من لم يأكل الربا أصابه من غباره " .<sup>7</sup>

و هذا الحديث و إن كان فيه ضعف ، إلا أنه يشهد لصحة معناه قوله صلى الله عليه و سلم فيما رواه البخاري : " يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أكل ، أمن الحلال أم من الحرام " .<sup>8</sup>

هذا الحرام المستقر في نفوس الكثيرين و جيوبهم و مؤسساتهم و أموالهم ، بدلاً من أن يسعى الداعية لنهي الناس عنه ، و البحث عن البدائل الشرعية الصحيحة لتنمية أموال الناس و استثمارها ، و لإقامة بناء الاقتصاد الإسلامي السليم .. يأتيه الذين لا يوقنون فيحاولون أن يستخفوه ليعيد النظر في صور من صور الربا الصريح ..

و أن لها مخرجا فقهيا و لو ضعيفاً أو شاذاً ! و هكذا يصح " واقع الناس " في فترة من الزمان محدودة مرجعا لتعديل بعض الأحكام الشرعية المستقرة عبر القرون !

إنه فقدان الصبر في نفوس بعض الدعاة ، و مع فقدانه فقدان الأمل !

**أعلل النفس بالآمال أرقبها \*\*\* ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل !**

و يا ليت الداعية ينصت لذلك الناصح الذي قال للخليل :

إذا لم تستطع شيئا فدعه \*\*\* وجاوزه إلى ما تستطيع

أنت لست مطالباً بتحقيق نصر واقع للإسلام ، فهذا أمره إلى الله متى شاء أن يحدث حدث ، لكنك مطالب ببذل جهدك في هذا السبيل فحسب ! و الرسل و الأنبياء كانوا يخاطبون بذلك : " إن عليك إلا البلاغ " ( سورة الشورى / الآية 48 ) .

و كانوا يقولون : " و ما علينا إلا البلاغ المبين " ( سورة يس / الآية 17 ) .

و قد يأتي أحدهم إلى بعض الدعاة و يقول له : أنت تعمل أعمالا جبارة ، و تواصل كلال الليل بكلال النهار ، لكن النتيجة في النهاية قليلة ، فالناس ينفضون من حولك ، و أنت ترى وسائل الهدم و التخريب قد استحوذت على الكثير منهم .. و أصبحت تفسد في ساعة ما يبنيه الداعية في سنة ! و :

7 - أخرجه أحمد 2/494 ، و أبو داود 3331 ، و النسائي 4455 ، و ابن ماجه 2278 ، و قد أعله المنذري في مختصر السنن 5/8 بالانقطاع بين الحسن و أبي هريرة .

8 - رواه البخاري 2059 ، و النسائي 4454 .



متى يبلغ البنيان يوماً تاماً \*\*\* إذا كنت تبنيه و غيرك يهدم؟؟

و هذا المنطق قد يؤثر على كثير ممن لم يعتادوا على عقبات الطريق .  
و هنا يأتي دور " الصبر " الصبر الجميل .

عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه و سلم ،  
و هو متوسد بردة في ظل الكعبة ، و قد لقينا من المشركين شدة ، فقلت :  
يا رسول الله ألا تدعو لنا ؟ ألا تستنصر لنا ؟

فقد صلى الله عليه و سلم ، و هو محمراً وجهه ، و قال : " لقد كان من قبلكم  
يمشط بمشاط من حديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، و  
يوضع الميشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه ، و ليتمن الله هذا  
الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله ، و الذئب على غنمه ..  
و لكنكم تستعجلون ! " .<sup>9</sup>

فالعجلة في قطف ثمار الدعوة و نتائجها لا تتناسب مع الصبر الذي يجب أن  
يتحلى به الداعية .

قد يكون الداعية في موقع من المواقع ( بلد ، مدرسة ، مؤسسة ، .. ) يجاهد  
في رد المنكرات و نشر الدعوة ، و يحدث على يديه خير كثير ، لكنه لا يحس  
به لأنه يجيء بصورة تدريجية .. كما لا يحس الأب بنمو طفله الذي يراه صباح  
مساء ! لأنه يكبر شيئاً فشيئاً !

و كم من داعية تخلى عن موقع من المواقع ظاناً أنه ليس له أثر ، فلما تخلى  
بان فقده و ظهرت مكاتته ، فكان كما قيل :

سيدكرني قومي إذا جد جداهم \*\*\* و في الليلة الظلماء يفترق البدر

و كان كالكسعي<sup>10</sup> ، الذي يصنع السهام و يرمي بها في الليل ، و يظن أنها  
لم تصب ما أراد .. فكسر القوس ، فلما أصبح رأى أنها قد أصابت فندم على  
كسرها .. و صار يضرب به المثل في الندم ، حتى قال الفرزدق حين طلق  
زوجته :

ندمت ندامة الكسعي لما \*\*\* غدت مني مطلقاً نوار !<sup>11</sup>

فعلى الداعية ألا يستعجل النتائج و الثمرات ، بل يسعى و يعتمد على الله تعالى  
، و يدرك أنه بمنطق التجربة المقطوع بها من الناحية التاريخية ، و من الناحية  
الواقعية ، أن أي جهد صحيح يبذل في الأمة يكون له ثمرة ، إذ لم يقع في هذه  
الأمة أن أحداً دعا فلم يستجب له ، أو نصح فلم ينتصح بأمره و نهيه أحد ، أو

<sup>9</sup> - رواه البخاري 3852 ، و أبو داود 2649 ، و رواه النسائي مختصراً 5320 .

<sup>10</sup> - هو محارب بن حفصة بن قيس عيلان من عدنان جد جاهلي . انظر الأعلام للزركلي 5  
281 /

<sup>11</sup> - انظر القصة في الفاخر 90 - 91 ، الزاهر 2 / 195 - 196 ، و اللسان مادة كسع .

عالمًا جلس للتعليم فلم يقعد إليه أحد ، إلا أن يؤتى من قبل نفسه ، بل كل داع يجد من يستجيب له ، إذ لم تصل الأمور إلى ما أخبر به النبي صلى الله عليه و سلم ، من الشح المطاع و الهوى المتبع ، و الدنيا المؤثرة ، و إعجاب كل ذي رأي برأيه ، لم يحدث هذا على مستوى الأمة كلها قط ، قد يقع في فرد أو أفراد أو جهة ، لكن الأمة فيها خير كثير ، و لا يزال عند الناس استجابة و قبول للدعوة ، و إصغاء لصوت الناصح ، إذا تكلم بعلم و حكمة .

**بل إننا نجد في الأمم الكافرة اليوم في أمريكا و أوروبا و غيرها أن من يحملون لواء الدعوة إلى الله يجدون من يستجيب لهم من الكفار ، و في مراكز كثيرة كانوا يذكرون لنا إحصائيات الذين يسلمون أسبوعياً فكانت بالعشرات من الرجال و النساء .**

**و هذه الحقيقة التاريخية الواقعية ، التي تثبت أن كل جهد له ثمرة هي أيضا حقيقة شرعية :**  
" فمن يعمل من الصالحات و هو مؤمن فلا كفران لسعيه ، و إنا له كاتبون " ( سورة الأنبياء / الآية 94 ) .

**و قال : " ليجزي الله الصادقين بصدقهم " ( سورة الأحزاب / الآية 24 ) .**

" من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء " .<sup>12</sup>

" من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها من بعده إلى يوم القيامة .. " .<sup>13</sup>

**فكل عمل له جزاء ، و كل داع له أتباع .**

ثالثاً / التواضع :

و هو معرفة المرء قدر نفسه ، و تجنب الكبر الذي هو بطل الحقّ و غمط الناس . كما قال صلى الله عليه و سلم ، فيما رواه مسلم و غيره .<sup>14</sup>

**و التواضع في الأصل إنما هو للكبير الذي يخشى عليه أن يكبر في عين نفسه ، فيقال له :**

**تواضع تكن كالنجم لاح لناظر \*\*\* على صفحات الماء و هو رفيع**

**أما الإنسان العادي فلا يقال له : تواضع ، و إنما يقال له : اعرف قدر نفسك ، و لا تضعها في غير موضعها !**

**روى الخطابي في العزلة أن الإمام الفذ عبد الله بن المبارك ، قدم خراسان فقصده رجلاً مشهوراً بالزهد و الورع ، فلما دخل عليه لم يلتفت الرجل إليه و لم يأبه به ، فخرج من عنده عبد الله بن المبارك ، فقال له بعض من عنده :**

<sup>12</sup> - رواه مسلم 2674 ، و الترمذي 2676 ، و أبو داود 4609 ، جميعهم من حديث أبي هريرة .

<sup>13</sup> - رواه مسلم 1017 ، و النسائي 2554 ، كلاهما من حديث جرير بن عبد الله البجلي .

<sup>14</sup> - رواه مسلم 91 ، و الترمذي 1999 ، و أبو داود 4092 .

**أتدري من هذا ؟ قال : لا . قال : هذا أمير المؤمنين في الحديث .. هذا .. هذا .. هذا .. عبد الله بن المبارك فبهت الرجل و خرج إلى عبد الله بن المبارك مسرعاً يعتذر إليه و يتنصل مما حدث و قال : يا أبا عبد الرحمن اعذرني و عطني !**

**قال ابن المبارك : نعم .. إذا خرجت من منزلك فلا يقع بصرك على أحد إلا رأيت أنه خير منك !**

و ذلك أنه رآه معجباً بنفسه ، ثم سأل عنه ابن المبارك فإذا هو حائك !! <sup>15</sup>

**لقد لمح الإمام المربي أن في هذا المتزهّد نوعاً من الكبرياء و الغطرسة و الاستعلاء على الناس .. و هو داء يسرع إلى المتزهدين أحياناً .. فزوده بهذه النصيحة التي تلائم حاله .**

و كم نجد من بعض الصالحين ، و ربما الدعاة أحياناً ، بل و من صغار الطلبة من يسيئون الأدب مع شيوخهم و علمائهم و أساتذتهم . و إنه لأمر يحز في النفس و يؤلمها !

**لا حرج أن تختلف مع عالم أو داعية في رأي أو اجتهاد متى كنت أهلاً لذلك .. لكن الحرج كل الحرج أن يتحول هذا الاختلاف إلى معول هدم لمكانة هذا العالم ، و الحط من قدره ، و الازراء عليه ، و سوء الأدب معه .**

**و إن جاز أن يقع هذا من الدهماء من العامة ، أو من أهل البدعة و الضلالة فإنه لا يجوز بحال أن يقع من أهل السنة و من طلاب علم الشريعة :**

**قد رشحوك لأمر لو فطنت له \*\*\* فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل**

**إن علماء أهل السنة و الجماعة خاصة مطالبون بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الاحتساب على عليّة القوم ..**

**و إذا خذلهم أقرب الناس إليهم فلا ينتظر منهم ذلك ، فواحدهم كفارس شجاع ما خلفه إلا نساء !**

**و لو أن قومي أنطقني رماحهم \*\*\* نطقت و لكن الرماح أجرت**

و لو أن أهل السنة حموا أعراض علمائهم ، و عرفوا لهم قدرهم ، و التفوا حولهم لأمكن لهم أن يقوموا بواجب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر على الوجه الصحيح ، لكن لما خذل العالم من وراءه لم يستطع أن يقول شيئاً .

**و كم هو مؤسف أن بعض أهل البدع على النقيض من ذلك ، بل تصل الحال بهم إلى أن يمنحوا شيوخهم و ملاليهم و ساداتهم نوعاً من القداسة ، و يسيرون خلفهم بشكل مرفوض .. هو في الحقيقة نوع من العبودية و ذوبان التابع في المتبوع .**

**و هذا يدين الفرق الباطنية عبر العصور حيث تربي أفرادها على منح قدر من العصمة " لزعمائها و أئمتها .**

و حتى المعتزلة الذين يتعاطون بضاعة " العقل " ، و لا يكاد يوجد عندهم للعواطف مكان .. يقول أحد شعرائهم في شيخهم واصل بن عطاء<sup>16</sup> :

له خلف بحر الصين في كل بلدة \*\*\* إلى سوسة الأقصى و خلف البرابر  
رجال دعاة لا يفل عزيهم \*\*\* تهكم جبار .. و لا كيد ماكر

إذا قال مروا في الشتاء تسارعوا \*\*\* و إن جاء حر لم يخف شهر ناجر

هم أهل دين الله في كل بلدة \*\*\* و أرباب فتياها و علم التشاجر

و أهل السنة أولى بأن يقدرُوا و يوقروا علماءهم و لا خير في أمة لا يوقر  
صغيرها كبيرها ، و لا يرحم كبيرها صغيرها .

\*\*\* و من التواضع ، بل من معرفة قدر النفس ألا ينظر الشاب المبتدئ إلى  
نفسه على أنه ند لهذا العالم أو ذاك ، و يقول : هم رجال .. و نحن رجال !!

و الحال أن الرجولة تختلف .. فإن صفة الرجولة في القرآن الكريم سيقت  
مساق المدح في مواضع عدة :

" فيه رجال يحبون أن يتطهروا " ( سورة التوبة / الآية 108 ) .

" في بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو و الآصال ، رجال لا  
تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه  
القلوب و الأبصار " ( سورة النور / الآيات 36-37 ) .

و قد يعبر بالرجولة عن الفحولة و الذكورية فحسب ، في مواضع أخرى :

" و أنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن " ( سورة الجن / الآية 6 ) .

فالرجال ليسوا سواء ، و أين الثرى من الثريا ؟!

و لربما رأيت طويلب علم لا يحفظ من القرآن إلا اليسير ، و لا يكاد يحفظ  
حديثاً من البخاري أو مسلم بحروفه ، فضلاً عن سنده و معناه .. و مع هذا قد  
يقف أمام جهابذة العلماء و كأنه أبو حنيفة أو الشافعي ! و هجيره أن يقول  
: أرى ، و أنا ، و قلت ، و عندي !

يقولون هذا عندنا غير جائز \*\*\* و من أنتم حتى يكون لكم عند ؟!

\*\*\* و من التواضع أن يتواضع المرء مع أقرانه ، و كثيراً ما تثور بين الأقران و  
الأنداد روح المنافسة و التحاسد ، و ربما استعلى الإنسان على قرينه ، و

- قال الذهبي في الميزان ( 4/329 ) واصل بن عطاء البصري الغزال المتكلم البليغ  
المتشدد الذي كان يلغ في الرأء .. قلت - الذهبي - كان من أجلاذ المعتزلة و كان  
يتوقف في عدالة أهل الجمل و يقول إحدى الطائفتين فسقت لأبيعتها فلو شهد  
عندي عائشة و علي و طلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم .

ربما فرح بالنيل منه ، و الحط من قدره و شأنه ، و عيبه بما ليس فيه ، أو تضخيم ما فيه ، و قد يظهر ذلك بمظهر النصيحة و التقويم و إبداء الملاحظات ، و لو سمى الأمور بأسمائها الحقيقية لقال : الغيرة .

و العجب أن يغار الداعية من اجتماع ألف أو ألفين في مجلس علم أو دعوة لكنه لا يفعل لو سمع أن حفلاً غنائياً أو مباراة رياضية حضرها عشرون أو ثلاثون ألفاً ، و هذا و الله من البؤس ، حتى لو كنت لا ترضى من أخيك بعض الأمر ، يكفيك أنه يدعو إلى الله ، و يعلم الناس الدين ، و هو على الجادة إجمالاً :

و من ذا الذي ترضى سجاياه كلها ؟ \*\*\* كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

و قد يكون الحق معه في بعض ما انتقدته عليه .

\*\*\* و من التواضع : التواضع مع من هو دونك ، فإذا وجدت أحداً أصغر منك سناً ، أو أقل منك قدراً فلا تحقره ، فقد يكون أسلم منك قلباً ، أو أقل منك ذنباً ، أو أعظم منك إلى الله قرباً .

حتى لو رأيت إنساناً فاسقاً و أنت يظهر عليك الصلاح فلا تستكبر عليه ، و احمد الله على أن نجاك مما ابتلاه به ، و تذكر أنه ربما يكون في عملك الصالح رياء أو عجب يحبطه ، و قد يكون عند هذا المذنب من الندم و الانكسار و الخوف من خطيئته ما يكون سبباً في غفران ذنبه .

عن جندب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم حدث : " أن رجلاً قال : و الله لا يغفر الله لفلان ، و أن الله تعالى قال / من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان ؟ فإني غفرت لفلان و أحببت عملك " 17 .

فلا تستكبر على أحد ، و حتى حين ترى الفاسق لا تستعل عليه ، أو تعامله بأسلوب المتسلط المتكبر .

و لو شعر الناصح الداعية أنه قد يكون لهذا الفاسق طاعات ليست عنده ، و أن عنده هو عيوباً قد لا تكون عند صاحبه لعامله برفق ، و تلتطف معه في الدعوة بما يرجى أن يكون سبباً في القبول و الذكرى .

\*\*\* و من التواضع ألا يعظم في عينك عملك ، إن عملت خيراً ، أو تقربت إلى الله تعالى بطاعة ، فإن العمل قد لا يقبل ، و " إنما يتقبل الله من المتقين " ( سورة المائدة / الآية 27 ) ، و لهذا قال بعض السلف : لو أعلم أن الله قبل مني تسبيحة لتمنيت أن أموت الآن !

و من ذلك التواضع عندما تسمع نصيحة ، فإن الشيطان يدعوك إلى ردها ، و سوء الظن بالناصر ، لأن معنى النصيحة أن أخاك يقول لك : إن فيك من العيوب كيت و كيت :

و كم مرة أتبعتمك بنصيحتي \*\*\* و قد يستفيد البغضة المتنصح !

أما من عصمه الله تعالى فإنه إذا وجد من ينصحه و يدلّه على عيوبه قهر نفسه ، و قبل منه ، و دعا له و شكره .

و لهذا قال صلى الله عليه و سلم ، في تعريف الكبر : " الكبر بطر الحق و غمط الناس " .

يعني رد الحق ، و بخس الناس أشياءهم .

فالمستكبر صاحب نفسية متعاضمة لا يكاد يمدح أحداً أو يذكره بخير ، و إن احتاج إلى ذلك شفّعه بذكر بعض عيوبه .

أما إن سمع من يذكره ببعض عيوبه فهيئات هيئات أن ينصاع أو يلين ، و ما ذاك إلا لمركب النقص في نفسه ، و لهذا كان من كمال الإنسان أن يقبل النقد و الملاحظة بدون حساسية أو انزعاج أو شعور بالخجل و الضعف ، و ها هو أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يحمل الراية ، و يرفع الشعار :

\*\*\* رحم الله امرءاً أهدي إلينا عيوبنا \*\*\*

(5) سبق تخريجه .

رابعاً / العدل

و العدل لفظ عام يعني التوسط الذي هو سمة المسلمين ، و سمة أهل السنة و الجماعة في الأمور كلها دون استثناء ، و هو إعطاء كل ذي حق حقه ، و مجالات العدل و صورته كثيرة جدا ليس من الميسور حصرها ، لكن هذه بعض النماذج المهمة منها :

أ - العدل مع العدو و الصديق :

فالكثير من الناس إذا ذكر له صديقه أثنى عليه و لو كان يعلم أنه لا يستحق ذلك الثناء ، و إذا ذكر له خصمه ذمّه و لو كان يعلم أنه خلاف ما يقول .

فهل يستطيع الداعية أن يذكر العيوب الموجودة في أقرب الناس إليه ممن يكون مثله في المنهج و الطريقة؟! أو يكون شريكاً له في عمل ما؟!!

و هل يستطيع أن يثني بصدق على إنسان يختلف معه في بعض الأمور؟

إن كان يستطيع ذلك فقد حقق العدل في هذا الجانب ، و لكن أكثر الناس يجورون على خصومهم فيذمونهم بما ليس فيهم ، و يجورون أيضا على أصدقائهم فيمدحونهم بما ليس فيهم .. و هذا و إن كان مظهره مظهر المحبة و الثناء إلا أن حقيقته الجور و الذم ، فمن أثنى عليك بما ليس فيك فقد ذمك ، لأن الناس يتطلبون هذه الخصلة فيك فلا يجدونها فيذمونك على فقدتها ، و الله تعالى قد أمرنا بالعدل حتى مع الأعداء فقال : " و لا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى " [ المائدة : 8 ] .

و من المحزن أننا و إن سلّمنا بذلك نظرياً ، إلا أننا من الناحية العملية سرعان ما ننسى هذا الدرس ، فحين نقف على ما نعدّه نحن خطأً من فلان نسقطه من الحساب ، و لا نعبأ به ، و لا نلتفت إليه ، و كثيراً ما تنسينا محاسن الشخص الكثيرة عيوبه القليلة ، أو تنسينا عيوبه الكثيرة محاسنه القليلة .

لا بل الأمر أدهى و أمر !

و لعل الحقيقة أنه كثيراً ما تنسينا العيوب القليلة المحاسن الكثيرة .. و ننسى القاعدة الشرعية " إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث !! " <sup>18</sup> .

ب- العدل في تقويم الكتب :

فحينما تقوم كتاباً فليس من العدل أن تقول إنه يحوي أحاديث موضوعة أو ضعيفة - مثلاً - أو آراء شاذة ، فتذكر هذا الجانب المظلم ، و تنسى جانباً آخر موجوداً في الكتاب ، و هو أنه يحوي توجيهات مفيدة ، أو أبحاثاً علمية .

إن ذكرك لنصف الحقيقة و إهمال النصف الآخر منها ليس من الأمانة .

و الكثير من الناس بمجرد أن يرى خطأً في كتاب ما يحذّره و يحذّر منه ، لأنه ساق حديثاً ضعيفاً ، أو أخطأ في مسألة ، و لو عاملنا كتب أهل العلم بهذا المقياس ما بقي لنا كتاب .

صحيح البخاري - و هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى - هل حاز على الكمال المطلق ؟ كلاً ، فقد بيض لبعض المواضع ، لم يضع تحت بعض الأبواب أحاديث ، فيه أحاديث معلقة غير موصولة ، و في بعض روايات الصحيح اختلاف .

و لا يخلو كتاب بعد كتاب الله من النقص و الخطأ ، فلا ينبغي أن نذكر عيوب كتاب و مثالبه ، إلا و نذكر إلى جانبها محاسنه ما كانت له محاسن .

ج- العدل في الحكم على الدعوات و الحركات :

منذ سقوط الخلافة الإسلامية قامت في العالم الإسلامي دعوات و حركات كثيرة تهدف إلى استئناف الحياة الإسلامية و الحكم الإسلامي ، أو إلى استمرار الدعوة بين غير المسلمين ، أو إلى إحياء السنة ، أو ما شابه ذلك من الأهداف النبيلة .

و هذه الدعوات تختلف في منهاجها و أسسها و أهدافها ، و تختلف في قربها أو بعدها عن منهج الكتاب و السنة .

و قد تحدث كثيرون عن هذه الدعوات و درسوها من جوانب مختلفة ، و الأمر الذي تكاد أن تفقده في كثير من هذه الدراسات هو " العدل " ، فكثير من الكتاب ما بين منتم لهذه الدعوة ، معجب بمنهجها و طرائقها فهو يكيل لها المدح كيلاً ، و يدعي وصلاً بليلى ! و آخر متحامل عليها لا يرى فيها إلا كل نقیصة ، و بين هذا و ذاك تصعب الحقيقة .

- نص حديث رواه أحمد و أهل السنن و صححه الطحاوي و ابن خزيمة و ابن حبان و الحاكم و الذهبي و النووي و ابن حجر . انظر إرواء الغليل ( 1 / 60 ) .

و الله تعالى يحب العدل ، و يكره الجور ، و من قصّر في جانب فلا يلزم أن يكون مقصراً في كل جانب ، و لا يسوغ أن تنسيك سيئاتهم الكثيرة حسناتهم القليلة .

أحياناً تسمع البعض يتحدث عن فئة من الدعاة إلى الله فيحولهم إلى مجموعة من الشياطين حتى يفسّر نطقهم بالشهادتين تفسيراً يصرفه عن معناه المباشر الظاهر ، و يؤول تصرفاتهم تأويلاً قد يصدق في بعضها و لا يصدقها في كثير منها ، و التعميم في هذا الموضوع خطأ ، بل يجب لمن تصدى للحديث عن الدعوات و مناهجها التفصيل و الدقة و ضبط العبارة و ذكر الجوانب المشرفة إلى جوار الجوانب المعتمة .

و أئمة أهل السنة و الجماعة كانوا يذكرون أهل البدعة فيذمونهم و يحذرون منهم ، لكنهم يذكرون مع ذلك مقاماتهم في الرد على من هو أشد منهم بدعة ، أو في دعوة بعض الكفار إلى الدخول في الإسلام ، بحيث يتحولون من كفار إلى مسلمين مبتدعين ، و هذا خير من بقائهم على الكفر الصحيح بلا ريب ، أو في ردّ بعض هجمات الأعداء العسكرية ، أو في أعمال خيرية قاموا بها .

فمن العدل ألا نتجاهل بدعتهم بحجة أنهم أحسنوا في أمور ، كما لا نتجاهل حسناتهم بحجة أنهم أصحاب بدعة ، بل نجمع بين الأمرين .

#### د - العدل في النظر إلى الجهود و الأعمال الدعوية :

هناك جهود في ميدان الدعوة إلى الله تعالى لا ترتبط بفئة معينة ، فهي عمل جهادي أو دعوي تصافت عليه همم المؤمنين ، أو طوائف منهم ، و هي جهد بشري يخطئ و يصيب ، و ليس له من العصمة نصيب ، و لذلك فإن من المصلحة الظاهرة أن " تقوّم " هذه الأعمال تقويماً صحيحاً معتدلاً ، يحقق الانتفاع بالإيجابيات و توسيعها و تعميقها ، و تلافى السلبيات و الخلاص منها ، لئلا تتكرر الأخطاء نفسها و يعود المسلمون من حيث بدؤوا .

و لكن هذه المصلحة الظاهرة قد تضع بين طرفين :

طرف يرى هذا العمل كاملاً لا عيب فيه ، فيرمي بسهام الاتهام و الشك كل من يوجه نقداً أو ملاحظة .

و طرف لا يبصر إلا العيوب ، حتى لا يكاد يرى في هذا العمل شيئاً يمكن الانتفاع به !

• خذ مثلاً : الجهاد الأفغاني .. جهاد ما يزيد على عشر سنوات من العرق و الدمع و التضحية و السهر و العناء !

قد تجد من يصوره على أنه خال من الأخطاء ، بريء من العيوب ، حتى كأنه جهاد الصحابة رضوان الله عليهم ، و لا يقبل فيه النقد و التوجيه و الملاحظة .

و في المقابل قد تجد من يتحدث عن المجاهدين فيصمهم بالجهل و البدعة دون ترو أو تفصيل ، و يتعلل بأن منهم من يعلق التمايم ! ، أو بأن عندهم بدعاً في بعض المساجد ، بل تجاوز الأمر أن صرّح أحدهم قائلاً :



هؤلاء مشركون يحاربون ملحدين !!

و قرأت بخط أحدهم تعليقاَ طائشاً عن إحدى الجماعات السلفية هناك ، بأن من لم يكفرهم فهو كافر !!

فإذا كان هذا حكمه على فئة سلفية .. فما بالك بغيرها؟! و الله المستعان .

أين ميزان القسطاس الذي وضعه الله لهذه الأمة ؟

و هل هذا هو الاتباع الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه و سلم ، الذي كان يعرف للناس أقدارهم ، و لا يخسهم أشياءهم ، و كان يثني على الإنسان بما فيه من خلال الخير ، إذا كان ثم مصلحة - و لو لم يسلم من الأخطاء !

أليس قد أثنى - صلى الله عليه و سلم - على النجاشي ، و وصفه بأنه " ملك لا يظلم عنده أحد " <sup>19</sup> مع أنه حينها كان كافراً لم يسلم بعد؟!

إن هناك فئة من الدعاة قد تنظر بعين واحدة ، إما بعين الرضا فتنسى العيوب و الأخطاء التي تعرف لتعالج و تقوم ، و إما بعين السخط التي لا ترى إلا المساويئ :

و عين الرضا عن كلِّ عيب كليلة \*\*\* و لكن عين السخط تبدي المساويا

إذا كان المحبُّ قليل حطًّا \*\*\* فما حسناته إلا عيوباً !

و يجب أن يتطلع الدعاة إلى الأحكام العادلة التي تمسك الميزان من وسطه و تنظر نظرة معتدلة متوازنة تحرص ألا تتأثر بالعواطف سلباً أو إيجاباً :

" و لا يجرمنك شأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى " [ المائدة : 8 ] .

هـ - العدل في التعامل مع النصوص الشرعية :

وهذه النصوص المحكمة كلها " دين " يجب قبوله و طاعته و الإيمان به ، و ليس شيء منها " مهجوراً " ما دام محكماً غير منسوخ .

و من العدل أن تتوازن في النظر إلى هذه النصوص ، فلا تأخذ منها نوعاً و تهمل نوعاً آخر، خاصة النصوص الواردة في موضوع واحد ، أو في موضوعين متقابلين .

• هناك من يأخذ نصوص الوعيد كحديث " لا يدخل الجنة قاطع " <sup>20</sup> ، أو " لا يدخل الجنة قتات " <sup>21</sup> ، أو " كفر بالمرء تبرؤ من نسب و إن دق " أو .. أو .. و يبنى على ذلك تكفير الخلق بهذه الأعمال و نحوها اعتماداً على طواهر هذه النصوص و ينسى أو يتناسى النصوص الأخرى الواردة في الوعد و الرجاء ، كحديث عتيان " فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله " <sup>22</sup> . أو " من شهد أن لا إله إلا الله ، و أن محمداً عبد الله و رسوله ، و أن عيسى عبد الله و رسوله ، و كلمته ألقاها إلى مريم و روح مريم ، و أن الجنة حق ، و أن النار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل " <sup>23</sup> .

• و في الطرف الآخر هناك من يعكس المسألة فيأخذ نصوص الرجاء وحدها ، و يؤمن الناس من مكر الله و يغفل نصوص الوعيد .

" و خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى و يقولون سيغفر لنا و إن يأتهم عرض مثله يأخذوه " [ الأعراف : 169 ] .

و العدل أن نأخذ بهذا و ذاك ، و نضع هذه في كفة ، و تلك في أخرى حتى يعتدل الميزان و يستقيم .

و من العدل بين النصوص الشرعية العدل بين الكليات و الجزئيات ، فالدين كله لله ، و ليس فيه شيء يجوز أن يهون من شأنه ، أو أن يتجاهل أو يهمل ، و لهذا قال صلى الله عليه و سلم ، لما أجاب جبريل عن الإيمان و الإسلام و الإحسان : " هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم " <sup>24</sup> .

و لذا لو أنكر الإنسان أمراً معلوماً من الدين بالضرورة متواتراً قطعي الثبوت لكان بذلك كافراً و لو كان هذا الأمر الذي أنكره سنة أو فرض كفاية كركعتي الفجر و الآذان و نحوهما .

فليس في الدين "قشور" أو "توافه" كما يحلو لبعض المتعجلين و الهاجمين على القول بدون ثبوت و لا روية أن يعبروا .

إنما هناك أولويات كالبداءة بأمور العقيدة ، و تقديم الكليات على الجزئيات ، فأنت حين ترى على إنسان مجموعة أخطاء فمن الحكمة أن تبدأ بالخطأ الأكبر قبل الأصغر ، فليس من الحكمة أن تلومه على بعض الأذكار المسنونة و هو يخل بواجبات الصلاة أو أركانها ، و ليس يسوغ أن تبدأ معه رحلة النصيحة بنهيه عن التدخين و هو يقع في الشرك .

و التدرج في الدعوة ثابت في وصية النبي صلى الله عليه و سلم ، لمعاد حين بعثه إلى اليمن فقال : " إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم و ليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم .. الحديث " <sup>25</sup> .

20 - رواه البخاري (5984) و مسلم (2556) و أبو داود (1996) .

21 - رواه البخاري (6056) و مسلم (105) و أبو داود (4771) و الترمذي (2127) .

22 - رواه البخاري (4623) و مسلم (33) .

23 - رواه أحمد (5/314) و البخاري (3435) و مسلم (28) و الترمذي (2640) .

24 - رواه البخاري (50) و مسلم (1009) و أبو داود (4698) و النسائي (4990) .

25 - رواه البخاري (1458) و مسلم (19) و أبو داود (1584) و الترمذي (625) و النسائي (2435) .

جميعهم من حديث ابن عباس .

**فتقديم الأهم فالمهم** شريعة نبوية ، كانت جزءاً من منهجه صلى الله عليه و سلم في الدعوة العملية ، و هي جزء من وصيته لصحابته المبلغين عنه .

و بعض الدعاة المخلصين قد تتحول عنايتهم و ينصب اهتمامهم على مجموعة مسائل جزئية ، هي مهمة دون شك لكن ثمت ما هو أهم منها ، و ليست مهمة الناصح أن يصرف اهتمام الدعاة عنها بالكلية ، أو يزهدهم فيها ، كلا .

بل مهمته أن يعمل على وضعها في مكانها الطبيعي الذي يليق بها ، و وضع المسائل الأخرى التي تكبرها في مكانها الطبيعي أيضاً .

**كنت يوماً أشرح للطلاب في دروس " بلوغ المرام " حديث أبي سعيد رضي الله عنه :** " إذا أتى أحدكم المسجد فليُنظر في نعليه ، فإن رأى فيهما أذى فليمسحه و ليصل فيهما " <sup>26</sup> .

**فرأيتها فرصة مناسبة لشرح المنهج المرضي في مثل هذا الحديث .**

**فأولاً : ذكرت السنن الواردة عن الرسول صلى الله عليه و سلم في مسألة الصلاة في النعلين ، و هي إجمالاً خمس :**

**الأولى : أنه صلى الله عليه و سلم كان يتعمد أحياناً خلع نعليه في الصلاة كما في حديث عبد الله بن السائب :** " رأيت النبي صلى الله عليه و سلم يصلي يوم الفتح و وضع نعليه عن يساره " <sup>27</sup> .

**الثانية : صلاته صلى الله عليه و سلم ، في النعلين كما في حديث أبي سعيد ، و مثله ما رواه أبو مسلمة سعيد بن يزيد الأزدي قال :** سألت أنس بن مالك رضي الله عنه : **أكان النبي صلى الله عليه و سلم يصلي في نعليه ؟ قال : نعم** <sup>28</sup> .

**الثالثة :** أنه كان يصلي حافياً و منتعلاً كما في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده <sup>29</sup> يعني : **تارَةً هكذا و تارَةً هكذا .**

**الرابعة : الأمر بوضع النعلين بين رجليه ، و لا يضعهما عن يمينه و لا عن يساره إلا أن لا يكون عن يساره أحد ، كما جاء في حديث أبي هريرة <sup>30</sup> و غيره .**

**الخامسة : الأمر بالصلاة فيهما كما في حديث شداد بن أوس :** " خالفوا اليهود ، فإنهم لا يصلون في نعالهم و لا في خفافهم " <sup>31</sup> .

**ثم ثبت بذكر آراء الفقهاء في المسألة و هي ثلاثة :**

**1\_ رأي يقول بالكراهة ، نقل ذلك عن ابن عمر و أبي موسى الأشعري .**

- رواه أبو داود (652) . 26

- رواه أبو داود (648) و النسائي (776) . 27

- أخرجه البخاري (386) و مسلم (555) و الترمذي (400) و النسائي (775) . 28

- رواه أبو داود (653) . 29

- رواه أبو داود (654 - 655) . 30

- رواه أبو داود (652) و صححه الحاكم و وافقه الذهبي . 31

2\_ و آخر يقول بالاستحباب و هو مذهب الأكثرين كعمر و عثمان و علي و أنس و ابن مسعود و عطاء و مجاهد و طاوس و شريح .. الخ .

3\_ و ثالث يقول بالجواز إذا لم يكن فيها نجاسة ، كما رجحه ابن الخطابي و ابن دقيق العيد و ابن بطال و النووي و غيرهم ، أي : ليست الصلاة في النعل بمستحبة عندهم ، و زعم ابن دقيق العيد أن ملابسة النعل للأرض التي تكثر فيها النجاسات يقصر به عن أن يكون زينة يستحب أخذها للصلاة .

ثم ثلث بالترجيح لما يقتضيه الدليل الصحيح الصريح ، و هو استحباب الصلاة في النعل ، على أن يراعى في ذلك أمور :

أ- أن ينظر فيها و يطمئن إلى سلامتها من الأذى أو القذر كما أمر به صلى الله عليه و سلم ، في حديث أبي سعيد .

ب- ألا يترتب على ذلك تشويش أو تشويه ، فإن رفع الأصوات في المساجد و الجدل العريض ، و الهجر في المقال و امتلاء الصدور بالكراهية و البغضاء و التداير ، بل و ترك الصلاة مع الجماعة إمعاناً في التعبير عن الغضب .. كل ذلك قد يفعله بعض الناس ممن كان يحتاج إلى تأليف قلوبهم . و في بعض المجتمعات يفرح أعداء الدعوة و أعداء المنهج الصحيح بمثل هذه الأعمال ، و يستغلون جهل الناس بالسنة ليلصقوا بالدعاة التهم الباطلة ، و ينفروا الناس منهم .

ج\_ ضرورة ترتيب الأولويات ، فنحن نريد تصحيح عقائد الناس ، و تحذيرهم من ألوان الشرك الظاهر و الخفي ، و نريد حمل الناس على فعل الفرائض و الواجبات ، و الامتناع عن المحرمات ، كما نريد حثهم على الالتزام بالسنن و المستحبات ، و ترغيبهم في تجنب المكروهات .

و ليس يصح في النظر السليم أن أصرّ على تعليم الناس سنة من السنن مهما كلف ذلك من جهد ، لتكون النتيجة أن يرفضوا هذه السنة بجهلهم ، ثم يرفضوا من دعاهم إليها فلا يقبلوا منه صرفاً و لا عدلاً .

و سلّم الأولويات الشرعية يبدأ بتعليم أصول العقيدة ، ثم فعل الفرائض و ترك المحرمات ، ثم أداء السنن و ترك المكروهات ، و هي كالضروريات ، ثم الحاجيات ثم التحسينيات .

· و باختصار : نحن بحاجة إلى " درء التعارض " بين العناية بالكل ، و العناية بالجزء ، و إزالة الفكرة الكاذبة التي توحى بأن الاهتمام بالكليات يلزم منه إهمال الجزئيات ، أو العكس ، و أن نجمع اهتمام الدعاة على نسق واحد ، يعطي كل ذي حق حقه .

و ليس عيباً أن يدرس الداعية أو يدّرس هذه السنن التي ينكرها الناس كتقصير الثياب إلى وسط الساق ، أو جلسة الاستراحة في الصلاة ، أو تحريك الأصبع في التشهد ، بل هي مسائل ورد فيها نصوص شرعية ينبغي للمتخصص أن يكوّن منها رأياً و اجتهاداً ، شريطة ألا تلهيه عن غيرها ، كما يدّرب الشباب على تطبيقها في خاصة أنفسهم و فيمن يقبل منهم و يأخذ عنهم ، و في الأزمنة المناسبة ، و في الأمكنة المناسبة ، و يتركوها - احتساباً لوجه الله - حين يرون المصلحة الشرعية في تركها ، و ليس خوفاً من السنة الناس أو أقوالهم على أشخاصنا :

## فإن أبي و والده و عرضي \*\*\* لعرض محمد منك و قاء

و ليس من العدل أن نكتب في موضوع جزئي ما يزيد على أربعة عشر بحثاً ..  
في حين نترك الوقائع و النوازل الكبيرة في الأمة يسير الناس فيها على غير هدى ، و  
يتخبطون بأرائهم الشخصية ، أو باجتهادات ناقصة لم تتوافر فيها لآلات الاجتهاد الصحيح .

و هناك من يقع في الخطأ المقابل، فيشتغل ببعض الكليات و يقلل من شأن  
الجزئيات .

يقول أحدهم : أنا سلفي ، و عندما أنظر إلى شخصية "عمر" أنظر فيها إلى  
عمر الذي نشر العدل بين الناس ، عمر الذي كان يقول : لو عثرت بغلة في العراق  
لشعرت أن الله سألني عنها ، لم لم تسو لها الطريق يا عمر ؟

و لست أنظر إلى شخصية عمر الذي يقصّر ثوبه و يطيل لحيته !! كما ينظر إليه بعض  
" الصبية " !! .

يا سبحان الله !

و لماذا نشطر شخصية "عمر" فنجعل منها "عَمَرين" ، عمر العادل المجاهد المتحمل لمسئولية البغلة  
بالعراق ، و عمر الملتزم بالسنة في هيئته و ثوبه و عمله ؟

حاشا عمر رضي الله عنه ، فإنه ما كان يؤمن بهذه " الثنائية " و هذا  
الانشطار و إليك الدليل :

• لما جاء عقبة بن عامر رضي الله عنه يبشره بفتح الشام ، و قد ركب إليه  
أسبوعاً من الجمعة إلى الجمعة حتى وصل المدينة ، و أخبره بالفتح ، فكبر  
لذلك و سر المسلمون من هذا النصر المؤزر .

ثم نظر عمر إلى خفي عقبة ، فقال له : منذ متى لبستهما ؟ قال : منذ  
أسبوع و أنا أمسح عليهما ! فقال له عمر : أصبت السنة<sup>32</sup> .

و الأثر صحيح كما يقول ابن تيمية<sup>33</sup> و غيره .

فلم يكن اشتغال عمر رضي الله عنه بمسألة الفتوح و إخضاع العالم لحكم  
الإسلام مانعاً له عن بحث مسألة فرعية جزئية - في نظر البعض - و بيان  
السنة فيها حسب رأيه و اجتهاده .

• و حين كان أمير المؤمنين في فراش الموت كان همّ الخلافة من بعده مما  
يقلق باله ، و بال أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و مسألة  
الخلافة مصلحة عامة جوهرية خطيرة ، لكنها - على أهميتها - لم تشغل عمر  
عن المباحثة و المفاهمة في بعض الجزئيات ، فكان مما فعل - و هو طعين - أنه  
دخل عليه غلام من الأنصار ، فأثنى عليه خيراً فلما خرج رأى عمر في  
ثوبه طولاً ، فقال : ردوا علي الغلام !! فردوه فقال له : يا ابن أخي ! ارفع  
إزارك فإنه أنقى لثوبك و أنقى لربك !<sup>34</sup> .

- رواه البيهقي (1/380) .

- الفتاوى (178 /21) .

- رواه البخاري (3700) من حديث عمرو بن ميمون .

و بعد لحظات التفت إلى من حوله من الصحابة فقال لهم : ما تقولون في مسألة إرث الجد مع الإخوة ؟ فتحدثوا ، فقال عمر : " إني كنت رأيت في الجد رأياً فإن رأيتم أن تتبعوه فاتبعوه ! فقال عثمان رضي الله عنه : إن تتبع رأيك فإنه رَشَد ، و إن تتبع رأي الشيخ قبلك فلنعم ذو الرأي كان !!<sup>35</sup>

هذا عمر رضي الله عنه !

تنسجم عنده الكليات و الجزئيات في مزيج عذب ، لا يطغى فيه لون على لون ، و لا طعم على طعم ، و في بناء متكامل لا يغني فيه شيء عن شيء .

و- العدل في النظرة الشمولية للإسلام :

فالدين جاء ليحكم شئون الحياة كلها ، على مستوى الفرد و الجماعة ، و في الجوانب الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و العلمية و سواها ، و قد عاب الله تعالى على بني إسرائيل و وبخهم بقوله :

" فنسوا حظا مما ذكروا به ، فأغرينا بينهم العداوة و البغضاء إلى يوم القيامة " [ المائدة : 14 ] .

فالتحزب على جزء من الدين ، و نسيان الأجزاء الأخرى هو من ميراث الأمم الهالكة ، و من أعظم أسباب الفرقة و الخلاف بين الدعاة . فتجد طائفة من المسلمين تهتم بالإسلام التعبدية ، فتعنى بقيام الليل ، و كثرة الذكر ، و قد تضيف إلى ذلك بعض الترتيبات التي لا أصل لها في الشرع و ربما تسرب إليها شيء من التصوف العجمي الانعزالي حتى لقد حدثني أحدهم بلهجة المسرور أن أحد الجواسيس الغربيين جلس معهم طويلاً ثم كتب عنهم أن هؤلاء لا ضير منهم ، فهم يتحدثون فيما تحت الأرض و فيما فوق السماء !!

تبارك الله !

في القبر و الموت و العذاب و النعيم ، و في الله و الملائكة و الآخرة !

أما ما فوق الأرض فلا شأن لهم به !

و تجد طائفة أخرى تهتم بالإسلام السياسي ، فجهادهم هو في ميدان تكوين الأحزاب السياسية ، و حشد الأنصار ، و الفوز بالانتخابات ، و الدخول في المجالس و البرلمانات .. و تربية الشباب على الجهاد السياسي .

و تجد فئة ثالثة عنيت بالإسلام العلمي ، فهي تتعلم السنة و الحديث ، و تشتغل ببيان صحيحها من سقيمها ، و تحذر الناس من رواية الأحاديث الضعيفة و الموضوعية ، و قد يصحب ذلك شيء من الجفاء أو ضعف التعبد أو الغفلة عن واقع الأمة و ما يدبر لها .

و قبل أن يسبق إلى ذهن أحد معنى يكرهه أبادر و أقول :

أولاً : الإسلام يشمل الجوانب الثلاثة كلها ، و غيرها ، فهو دين جاء ليربط العبد بربه تعبداً و رجاء و خوفاً ، و من ثم جاءت الشعائر التعبدية ، و هو دين جاء ليحكم

حياة الناس و يدير شئونهم ، فليس كهنوتا و لا رهبانية ، و لا عزلة عن واقع الحياة ، و السياسة جزء لا يتجزأ من الإسلام ، فالجهاد في هذا الميدان بكل وسيلة مباحة مؤدية للغرض المقصود يجب أن يكون جزءا من هم الداعية .

و هو دين جاء ليضبط التعبد ، و يضبط الحركة في واقع الحياة ، بضابط الكتاب و السنة فلا يكون هناك مجال للعواطف المجردة ، و لا للأمزجة الشخصية ، فلا بد من العلم بالكتاب و السنة حتى نصح عبادتنا و أعمالنا .

إذن : كل هذه المجالات مما جاء الدين بالدعوة إليه ، و الحث عليه .

ثانياً : قد يعجز فرد أو أفراد أن يحيطوا بهذه الأمور كلها في دعوتهم إلى الله، فالطاقة محدودة إذا صرفت لشيء فربما بخست شيئاً آخر ، أو أضرت به ، فضلاً عن أن ما رُكِب عليه الناس من الطبايع و النظرات و نوعية الاهتمامات قد يجعل الإنسان بطبعه أميل إلى أحد هذه الأمور . فمثلاً قد يكون في الإنسان زهد و نسك و خير كثير ، لكنه لم يرزق آلة العلم الشرعي ، فليس من أهله .

و هنا نقول : قد علم كل أناس مشربهم ، و كل ميسر لما خلق ، و قد كان من أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم ، الفارس المقاتل الشجاع كخالد بن الوليد ، إلى جوار العالم المتعهد الفقيه كابن عباس و ابن مسعود ، إلى جوار المتعبد المتزهد الذي يصيح بالناس قولا و فعلا : لا تركنوا إلى الدنيا ، كأبي ذر رضي الله عنه .

و من مجموع هذه الشخصيات و غيرها يتكون البناء الإسلامي المتكامل .

و قد يوجد فيه من يكونون مجمعا للفضائل - و هو قليل - و على نطاق الصحابة رضي الله عنهم تجد أمثال أبي بكر و عمر و عثمان و علي و غيرهم و هم من الصحابة أكثر منهم فيمن جاء بعدهم .

ثالثاً : يجب أن يكمل بعضنا بعضاً ، و ألا يكون تنوع الاهتمامات مدعاة للتطاحن و التناقض و التناز و اتهام كل طرف للآخر .

فهذا يتهم ذاك بالجهل ، و ذاك يتهم هذا بالإغراق في بحث الجزئيات و الغفلة عن واقع الحال ، و الثالث يتهم الآخرين بالجفاء و الجفاف ، و الركون إلى الدنيا و هكذا .. كلا ..

بل يقول كل مؤمن لأخيه ، إنه قام بما قصر فيه هو من فروض الكفايات و سد عنه ثغرة ما كان يستطيع سدها ، و يدعو له بظهر الغيب ، و يحمي ظهره من طعن الطاعنين .

فلا " تتحزّب " على جزء من الدين ، و نحارب من يتهم بجزء آخر ، بل إن قصرنا في أمر شكرنا من يقوم به عنا ، و شتان بين الأمرين .

رابعاً : و يجب ألا يشغلنا ما نذرنا أنفسنا له - من علم أو تعبد أو جهاد سياسي أو غير ذلك - عن الجوانب الأخرى أن نأخذ منها بنصيب ، فليس يسوغ للداعية - أيّاً كان - أن يجهل ما يكون تعلمه فرض عين على كل مسلم ، كمعرفة العقيدة الصحيحة ، و معرفة أحكام الوضوء و الصلاة و الصيام و نحوها ، و معرفة ما يحتاجه في حياته العملية كأداب المعاشرة للمتزوج ، و أحكام الزكاة و التجارة أرباب الأموال ، و الأحكام المتعلقة بالعمل أو المهنة كالطب أو الهندسة أو غيرها .

و هذا هو العاصم - بإذن الله - عن أن يكون اهتمامنا بشيء ذريعة إلى الغلو فيه و ترك ما عداه .

**فإن العناية بالعبادة إذا لم يصحبها علم شرعي صحيح ، مبني على الدليل من الكتاب و السنة قد تؤدي إلى التردّي في مهاوي التصوف .**

**و العناية بالدعوة إذا لم تبين على فهم صحيح ، و مدارسة للنصوص ، و تحصيل علمي قد تؤول إلى جمع الناس على بدعة أو حشدهم على غير شيء . و هكذا**

ز العدل مع الواقع :

فالبعض من الدعاة يعيش في هذا العصر ، و كأنه في القرن الخامس الهجري ! لا يعرف عصره ، و لا يدري ما يقع حوله ، و يفاجأ بالأحداث . كما يفاجأ بها رجل الشارع !

صعد خطيب من الخطباء في إحدى القرى و في يده كتاب يقرأ منه ، فكان مما قال في آخر خطبته أن دعا لأمير المؤمنين السلطان العثماني فلان ، أن يخلد الله ملكه ، و يؤبد سلطانه !!

و لم يدرك أن جسد هذا الخليفة أصبح طعاما للديدان في قبره ، و أن ملكه أصبح نهبا للشرق و الغرب !

**و هذه الصورة " الصارخة " من " الغيبوبة " قد لا تتكرر كثيرا ، لكن ثمت صور**  
الطف منها تتكرر بصفة دائمة .

**أحد الشباب سألني قائلا : حزب البعث ، ما هو حزب البعث ؟ ما هي عقائدهم الأخرى غير مسألة الكفر بالبعث !؟**

**ظن أخي أن سبب تسميته بحزب البعث ، لأنه يكفر بالبعث ، كما سمي القدرية لأنهم ينكرون القدر !!**

**إن المسلم قيم على عصره ، و شاهد عليه ، فهو يعيش هموم المجتمع ، و يدرك تيارات الفكر و اتجاهات السياسة ، و يحرص على إيجاد الحلول الصحيحة للوقائع الجديدة ، و على مقاومة الانحرافات بعد معرفتها و إدراك جذورها ، و لن يستطيع نقض مناهج الفكر الغربي من لا يعي جذورها و ظروفها و منطلقاتها .**

**و ليس من الضروري أن يصبح كل داعية كذلك ، لكن لا بد أن يتفكر من المؤمنين طائفة ليقوموا بهذه الفريضة ، و على المستوى العام لا بد أن يكون للداعية نافذة على الواقع يدرك من خلالها أهم الأحداث المحيطة به ، و يستطيع أن يكون مرشداً للناس إلى السلوك الصحيح حيالها .**

**و في مقابل أولئك المنعزلين عن الواقع يوجد من يحوّل هذا النزول للواقع إلى نوع من الانهزامية ، و البحث عن المسوغات و المبررات ليقول إن ما عليه للناس موافق للإسلام ، أو يحاول التخلي عن بعض الأمور الشرعية مجاملة للواقع ، أو خضوعا لضغطه النفسي .**



و العدل هو التعرف على الواقع و محاكمته إلى دين الإسلام ، و تصحيح انحرافاته بحسب الإمكان .

### ح\_ العدل في التعامل مع الخلاف :

**الخلاف من طبيعة البشر " و لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك " [ هود : 118 - 119 ] .**

**و لا شك أنه يختلف و يتفاوت باختلاف النيات و المقاصد ، و اختلاف العقول و المدارك ، و اختلاف العلوم ، و التعامل مع الخلاف يتطلب موقفاً شرعياً . بعض الدعاة يدعو إلى وحدة الصف و جمع الكلمة و نسيان الخلاف دون تحديد ضابط دقيق لمن يمكن الوحدة معه ، و من تجب مفاصلته لبدعته و ضلاله و انحرافه .**

**و في الطرف الآخر هناك من يببالغ في الشروط ، حتى ليريد من الناس أن يوافقوه في كل شيء ، حتى في اجتهاداته الشخصية الفردية ، و آرائه الخاصة ، فإذا خالفه أحد في بعض ذلك أعرض عنه ، و اتخذ منه موقف المناوئ ، و أصبح لا يأبه به و لا يقيم له وزناً !**

**و العدل يقتضي تقبل الخلاف فيما يسوغ الخلاف فيه كالوسائل الدعوية ، و الفرعيات ، و الأحكام التي اختلف فيها السابقون .. و نحو ذلك مما بني على اجتهاد شرعي في فهم النصوص ، لا على مجرد الميل و التشهي .. فمثل هذا يحتمل ، و يكون الأمر فيه واسعاً .**

**أما التسامح مع أهل البدع الاعتقادية الغليظة ، و الانحرافات الجوهرية بحجة توحيد الصف فمسلك تلفيقي لا يمت إلى العقل و لا إلى الشرع بصلة .**

**و أما مطالبة الناس بالاتفاق على كل شيء ، و ألا يختلفوا في شيء البتة فضرب من المحال و الخيال ، لا يتصور إلا في عقول السذج .**

خامساً / العاطفة الحية

**نحن بحاجة إلى داعية يملك قلبا يحترق على واقع الإسلام و المسلمين و على أوضاع الأمة في مشارق الأرض و مغاربها ، يعطف على إخوانه و يحقق قوله سبحانه " أشدأء على الكفار رحماً بينهم " [ الفتح : 29 ] و لا يكون شأنه شأن الخوارج في الدهر الأول الذين يقتلون أهل الإيمان و يدعون أهل الأوثان .**

**إن المؤمن ينبغي أن يكون شديداً على الكفار رحيماً بالمؤمنين و يحقق في نفسه قوله صلى الله عليه و سلم ، " مثل المؤمنین في توادهم و تراحمهم و تعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى " .**

**و قوله " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " .**

**فنحن بحاجة إلى من يحس بآلام إخوانه المسلمين ، فإذا سمع بمصيبة حلت بإخوانه تألم لها و لو كان لديهم بعض التقصير و الابتداء .**

كان الشيخ محمد رشيد رضا يتألم لواقع المسلمين و تظهر أحزانه على  
قسمات وجهه حيث تحل بأحد المسلمين مصيبة أو قارعة ، و يفرح إذا كان  
الأمر على العكس من ذلك حتى إن والدته عرفت عنه هذا الخلق فإذا رآته  
حزيناً كاسفاً سألته مالك يا ولدي : أمات اليوم مسلم بالصين ؟ فهي قد أدركت  
أن أحزان ابنها و أفراحه مربوطة بأحوال المسلمين يفرح لفرحهم و يحزن  
لحزنهم و هذا هو الولاء الحقيقي للمسلمين .

• و من هذه العاطفة أن يملك الإنسان قلباً يتأثر لأخطاء المسلمين و  
انحرافهم عن الدين ، فيحزن لانتشار الفسق و المعاصي بينهم حزناً لا يدفعه  
لاعتزالهم إنما يدفعه لأن يشعر أن كالطبيب معهم يحاول إنقاذهم فإن لم يدرك  
ذلك كله فليقلل من هذا الانحراف بقدر ما يستطيع .

و ينبغي أن تدعوه هذه العاطفة للغيرة على نفسه و وزجه و ولده فيأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر  
و يمنعهم من ارتكاب ما يسخط الله عز و جل .

كثيرون هم الدعاة الذين يتحدثون عن الإسلام لكن الذي يملك عاطفة حقيقة  
حية قلة من هؤلاء ، و إذا تحركت العاطفة في قلب الداعية أثمرت دعوة و  
نصيحة و مشاركة لآلام المسلمين في كل مكان . أما حين يفقد الإنسان هذه  
العاطفة فيُصبح يعيش لنفسه و ولده و وزجه ، يعيش ليستمتع و يتلذذ بما  
حوله و ينسى هموم المسلمين فإنه حينئذ يكون قد تخلى عن حقيقة الولاء  
للمؤمنين ، و إن دندن في أحاديث حول الدعوة و الدعاة ، و مصائب  
المسلمين ، و .. و .. إلا أنه يكون كالنائحة المستأجرة .

و ما أكثر الذين تعودوا على كلام يرددونه في المناسبات .. و حفظوا عبارات  
يسمعونها و يتلونونها دون أن تنطلق من حماس و غيرة على الدين و أهله ..  
فآه لهذه الأمة .. ما أحوجها إلى قلوب تحترق !

### سادساً / الطموح

و يعني هذا الخلق أن لا يعيش الإنسان لنفسه و دنياه إنما يعيش لأمنته كما كان صلى الله  
عليه و سلم ، إذ تقول عنه عائشة لما سألتها عنه عبد الله بن شقيق رضي الله  
عنه هل كان النبي صلى الله عليه و سلم ، يصلي و هو قاعد ؟ قالت : " نعم  
بعدهما حطمه الناس " <sup>36</sup> . فقد كان صلى الله عليه و سلم ، يتصدى للناس  
يستقبلهم و يودعهم ، يأمرهم و ينهاهم يختلط بهم و يتحمل أخطاءهم لذلك  
حطمه الناس و أثروا في بدنه صلى الله عليه و سلم ، حتى أصبح يصلي جالساً و أسرع  
إليه الشيب بأبي هو و أمي صلى الله عليه و سلم .

• و الدين مراتب فالإسلام ثم الإيمان و الإحسان يقابل هذه القسمة قسمة  
ثلاثية أيضاً و هي الواردة في سورة فاطر " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من  
عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو  
الفضل الكبير " [ فاطر : 32 ] .

و يناظر هذه القسمة قسمة ثلاثية أيضاً ذكرها النبي صلى الله عليه و سلم ،  
في حديث الفرقة الناجية حيث ذكر الإسلام أولاً و هو الضمانة الوحيدة في  
الدخول إلى الجنة فلا يدخل الجنة إلا مسلم و داخل في هذه الدائرة الكبرى

**و هي دائرة الإسلام دائرة أضيّق و هي دائرة الفرقة الناجية و تشمل من التزموا بالسلوك المستقيم و العقيدة الصحيحة و لم يقوموا بما وراء ذلك . و هناك دائرة أضيّق من هذه الدائرة و هي أفضل و أشرف و أعظم و هي دائرة الطائفة المنصورة الذين يدبّون عن الدين و ينافحون عنه و يتحملون الأذى و الأواء في سبيله فينصرهم الله جل و علا .**

**فينبغي أن يكون المسلم طموحاً و يسعى للارتقاء في هذه الدرجات و أن ينظر في الدين إلى من هو فوقه و في الدنيا إلى من هو دونه . فحاول أن تتشبه بالفضلاء و المصلحين و المجددين حتى يتحقق لك بعض الخير في هذه الدنيا كن صاحب نفس طموحه لا ترضى بالوقوف عند حد معلوم ، و لا تشيع من خير قط حتى يكون منتهاك الجنة .**

### وختاماً

**ينبغي للداعية أن يكون قدوة لغيره بأن يتجنب المكروهات و فضول المباحات و ما لا يحتاج إليه ، و يترفع عن الدنيا و التنافس فيها حتى يكسب ثقة الناس ، و الأمر كما قال الشافعي :**

**و من يذق الدنيا فإنّي طعمتها \*\*\* و سيق غلينا عذبتها و عذابها**

**فما هي إلا ضيعة مستحيلة \*\*\* عليها كلاب همهن اجتذابها**

**فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها \*\*\* و إن تجتذبها نازعتك كلابها**

فمن المهم للداعية أن يجعل الدنيا تحت قدميه يستخدمها و لا يخدمها حتى يعلم الناس أنه ليس صاحب دنيا و لا طالب مكانة .

**و من مجالات القدوة أن تجنب الداعية التناقض بين القول و العمل كما قال نبي الله شعيب " و ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب " [ هود : 88 ] .**

**و لذلك كان علماء السوء يدعون الناس إلى الإسلام بأقوالهم و يحذرون منه بأعمالهم ، فاحرص أخي الداعية أن تكون قدوة في قولك و عملك .**

**• وها هنا أمر ينبغي التنبه له و هو أن الكثير من الناس يظن أن الداعية لا يأمر إلا بالمعروف الذي يفعله و لا ينهى إلا عن المنكر الذي يجتنبه و هذا غلط بل الصحيح الذي تدل عليه نصوص الكتاب و السنة أن الإنسان يجب عليه أن يأمر بالمعروف و لو كان مقصراً فيه و أن ينهى عن المنكر و لو كان واقعاً فيه حتى قال بعض حذاق أهل العلم حق على من يتعاطون الكؤوس أن ينهى بعضهم بعضاً .**

فالوقوع في المنكر لا يبرر لي الوقوع في خطأ آخر و هو أن لا أنهي عن المنكر ، و الشرط الوحيد أن يكون أمري بالمعروف و نهبي عن المنكر بصدق و ليس على سبيل الخداع و النفاق و التضليل و أن أظهر للناس أنني داعية ، و أنا لست كذلك . فلو كان الوالد مثلاً مبتلى بشرب الدخان و رأى ولده يدخل فهل يسكت عنه بحجة أنه واقع في المنكر ؟

**كلا . بل عليه أن ينهاه و يقول : إني سلكت هذا الطريق و يصعب علي الإقلاع و أنت ما زلت في البداية و هكذا سائر المعاصي .**

**و قل مثل ذلك في مسئول يرى من تحته يقع في معصية هو واقع فيها .**

**و لو لم يعظ في الناس من هو مذنب \*\*\* فمن يعظ العاصين بعد محمد**

**و تقتضي القدوة ألا يقابل الداعية السيئة بالسيئة بل يعفو و يصفح و يقابل الإساءة بالإحسان كما كان صلى الله عليه و سلم ، يعفو عن ظلمه ، و يعطي من حرمه ، و يصل من قطعه ، و هذه أخلاق الأنبياء .**

**جعلنا الله و إياكم هداة مهتدين ، غير ضالين و لا مضلين ، و عاملنا بفضله و رحمته ، فهو أهل التقوى و أهل المغفرة .**

**و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .**

**سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك و أتوب إليك .**

**سلمان بن فهد العودة**